

غنية السائل
بما في لامية شيخ الإسلام من مسائل

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجدي

اعتنى به
عبد الرحمن بن الفضل أبو حذيفة الياضي

تهيد

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **أَمَّا بَعْدُ**:

فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ
مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

فَقَدْ سَارَ الْعُلَمَاءُ الرَّبَانِيُّونَ وَالْأَثَمَةُ الصَّادِقُونَ مِنْ عَهْدِ السَّلَفِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**
وَحَتَّى عَصَرِنَا هَذَا فِي جِهَادٍ لِتَبْيِينَ مَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِ الَّتِي فِيهَا نَجَاةُ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَسَعَادَتُهُ فِيهِمَا.

فَيَعْتَصِمُ قَلْبُهُ وَيَنْعَقِدُ عَلَى مَا لَا اضْطِرَابَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ، وَلَا زَيْغَ وَلَا خَطَلَ،
بَلْ مِنْهَجٌ سَوِيٌّ، وَمَعَالِمٌ وَاضِحَةٌ، وَنُورٌ يُضِيءُ، فَيَسِيرُ بِخَطَى الثِّقَةِ بِمَوْلَاهُ،
وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، قَدْ حَكَّمَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَقْوَالِهِ
وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَسَلَّمْ أَمْرَهُ اللَّهُ رَاضِيًا شَاكِرًا، سَلِيمَ الْبَاطِنِ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ،
وَنَاصِحًا لَوْلَاةِ أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يُكِنُّ لَهُمْ غَشًّا وَلَا بُغْضًا وَلَا حَسَدًا، قَدْ جَعَلَ هَمَّ
الْمَعَادِ نَصَبَ عَيْنِيهِ، مُعِدًّا لِذَلِكَ الْمَوْقِفِ وَبِإِذْنِ كُلِّ مَا لَدَيْهِ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْأَثَمَةُ الْعُلَمَاءِ السَّادَةِ الْخُنَفَاءِ مِمَّنْ بَذَلَ حَيَاتَهُ فِي الدَّعْوَةِ
وَالْتَّعْلِيمِ وَالْإِقْرَاءِ وَالْإِفْتَاءِ، فَعَمَّ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ، وَنَهَلَ مِنْ عِلْمِهِ الْحَاضِرُ وَالْبَادِ،
وَمَنْ فَاقَ أَقْرَانَهُ وَسَادَ، فَسَلَّكَ مِنْهَجَ السَّلَفِ وَمَا حَادَ، شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ بْنُ

يحيى النجمي رَحْمَةُ اللَّهِ رحمة الأبرار، وأسكنه الفردوس الأعلى ونعم الدار، مع
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الأخيار.

فقد كان ذا حرصٍ على إخوانه المسلمين أن يعتلوا أعلى منازل الشرف
بالعلم النافع والعمل الصالح، وكان أسرع الناس لها، ويسعى في نفعهم مع سعة
صدر وسماحة بال، ويجلس لهم الساعات الطويلة من كل يوم، ويفتح باب
لطلاب العلم والمستفتين، ويُسرُّ اللقاء به من غير ملل ولا كلل، مع قيامه
بالدعوة إلى الله من خلال الدروس اليومية والمحاضرات والدورات التي يلقيها
في المساجد، ولا يتوقف من استقبال الاتصالات من جميع أنحاء الدنيا؛ شرقاً
وغرباً، يفتيهم ويرشدُهم وينصَحُهم، وله مواقف عظيمة وكثيرة في الرد على
أهل الضلال والزيف، وكشف شبهاتهم، وتعرية باطلهم، وبيان الحق والعقيدة
السلفية، يظهر ذلك من خلال كتبه المطبوعة، وأشرطته المسموعة.

وفي جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان له الدور الفعال في القيام
بهذا الأمر، ومُساندة القائم عليه، ونصيحة ولاية الأمر ونصيحة الرعية. كان رجلاً
لا يهتم بأضواء المسؤولية، ولا ببوارق الجاه، ولا برنين المال.

ولئن كان الشيخ قد مات؛ فإنه قد خلف علماً غزيراً في العقيدة والفقه، وفي
سائر أبواب العلم، وسوف يظلُّ بمشيئة الله حياً بما تركه لنا من علم ونهج؛ ومن
أهم ما تركه لنا هو هذا المنهج الذي احتذاه في سائر أعماله، من دعوة إلى
التوحيد، وإلى كل وسيلة تؤدي إليه، ومحاربة الشرك، وكل وسيلة تؤدي إليه،
ومحاربة البدع أيّا كانت ممن كانت، والنهي عن التعلق بالبشر مهما كانوا، وبند
كل ما يؤدي إلى فتنة، والبحث عن كل ما يكون فيه تأليف للقلوب.

ولموتُ العالمِ الفدِّ مصيبةٌ كبيرةٌ، وفاجعةٌ عظيمةٌ، تفقدُ الأُمَّةُ بفقده الدَّلِيلَ الذي يهدي، والنُّورَ الذي يُضيءُ الطَّرِيقَ.

ومهما قلتُ في حقِّه فإنَّني أراني مقصِّراً في وصفِ ما له من جُهودٍ عظيمةٍ، وما تحلَّى به من فضائلٍ كريمةٍ، وذلك فضلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ. ولا أستطيعُ أنْ أوفِّي هذا العالمَ الجليلَ ما يستحقُّه في هذه العُجالة؛ فإنَّما ثوابُه على اللهِ، وإنَّما هي كلماتٌ سريعةٌ كتبْتُها وفاءً لبعضِ حقِّه، ومعرفةً بقدره، وتقديرًا لمكانته وفضله.

واللهُ أسألُ أنْ يكتبَ كتابه في عليين، وأنْ يُنزله منازلَ النبيِّين، وأنْ يجزيه خيرَ ما جزى عالمًا بأَمَّتِه، إنَّه تعالى قريبٌ مجيبٌ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله.

كتبه تلميذه

الفقير إلى ذي المنِّ والفضل

عبد الرحمن بن الفضل أبو حذيفة اليزيدي اليافعي



المنظومة اللامية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

- [١] يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي
[٢] اَسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ
[٣] حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبُ
[٤] وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلَا وَفَضَائِلُ
[٥] وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ
[٦] وَأَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ
[٧] وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمْرُهَا
[٨] وَأَرَدُ عُهْدَتَهَا إِلَى نُقَالِهَا
[٩] قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ وَرَاءَهُ
[١٠] وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ
[١١] وَأُقِرُّ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي
[١٢] وَكَذَا الصِّرَاطُ يَمْدُ فَوْقَ جَهَنَّمَ
[١٣] وَالنَّارُ يَضِلُّهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ
- رُزِقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ
لَا يَتَشَنَّى عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ
وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ
لَكِنَّمَا الصَّدِيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ
آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ
وَالْمُضْطَفَى الْهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ
حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ
وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يَتَخَيَّلُ
وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ
وَالِي السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
أَرْجُو بَأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنَّهُ لُ
فَمَوْحِدٌ نَاجٍ وَآخِرُ مُهْمَلُ
وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى الْجَنَانِ سَيَدْخُلُ

- [١٤] وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ
عَمَلٌ يُقَارَنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ
[١٥] هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ
وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدُ يُنْقَلُ
[١٦] فَإِنْ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوفَّقٌ
وَإِنْ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعْوَلٌ



المقدمة

قال الشيخ رحمه الله: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.
فهذا شرحٌ وجيزٌ للامية شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
ابن تيمية رحمه الله:

سؤال الهداية

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي رُزِقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ
﴿الشرح﴾:

هذا دعاء من شيخ الإسلام رحمه الله ﷺ للسائل أن يرزقه الله الهداية؛ فإن من
سأل مثل هذا السؤال لابد أن يكون أحد رجلين:

- ١- إما أن يكون مُختبراً يريد أن يعرف عقيدة المسؤول فيعامله بحسبها.
- ٢- وإما أن يكون مُبتدئاً مُبجلاً للمسؤول، ومُعظماً له؛ لما رأى فيه من
علامات الهدى، وهذا هو الغالب في مثل هذا السؤال، والله الموفق.



العقيدة الراسخة

ثُمَّ قَالَ:

إِسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ لَا يَتَشَنَّى عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

﴿الشرح﴾:

يُخْبِرُ الشَّيْخُ هُنَا بِأَنَّ عَقِيدَتَهُ جَاءَتْ بَعْدَ تَمْحِصٍ وَبَحْثٍ وَرَجُوعٍ إِلَى الْأَدَلَّةِ؛
فَلِذَلِكَ هُوَ ثَابِتٌ عَلَيْهَا لَا يَتَشَنَّى عَنْهَا مَهْمَا كَانَتِ الصَّوَارِفُ، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِهَا غَيْرَهَا
مَهْمَا كَانَتِ الْمَغْرِيَّاتُ.



الاعتقاد في الصحابة والقرابة

ثُمَّ قَالَ:

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ

﴿ الشرح: ﴾

يُشِيرُ رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى أَنَّ حُبَّ الصَّحَابَةِ جَمِيعًا مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ هُوَ مَذْهَبُهُ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ فِي سُورَةِ (الْحَشْرِ): ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الْحَشْرِ: ١٠]، وَلِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الْفَتْح: ٢٩]، وَلِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الْفَتْح: ١٨]، وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التَّوْبَةِ: ١٠٠]، وَلِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التَّوْبَةِ: ١١٧]، وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التَّوْبَةِ: ١١٨ - ١١٩].

هَذِهِ الْآيَاتُ وَغَيْرُهَا دَالَّةٌ عَلَى وُجُوبِ حُبِّ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ أَبْلَوْا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِلَاءَ حَسَنًا، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي رِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ؛ لِثَبَاتِهِمْ عَلَى نُصْرَةِ نَبِيِّهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

وهكذا يجب على كل مسلم أن يحب جميع الصحابة، ولا يتكلم على أحد منهم بشيء؛ لقوله ﷺ: «هل أنتم تاركو لي صاحبي»^(١)، «والذي نفس محمد بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٢).
وقوله:

وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ

أي: أن محبة قرابة النبي ﷺ بها أتوسل إلى الله، وأرجوه أن يغفر لي ذنوبي، وأن يدخلني يوم الدين مدخل من رضي عنهم من الصحابة والقراة، والله سبحانه يقول: ﴿قُلْ لَا أَشْكُرُ عَلَيْكُمْ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، أي: إلا أن تودوا قرابتي وتجلوهم وتُعظموهم؛ لقربهم مني ولصحبتي، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا خيارٌ من خيارٍ من خيارٍ، إن الله اختار العرب من بني آدم، واختار كنانة من العرب، واختار قريشاً من كنانة، واختار بني هاشم من قريش، واختارني من بني هاشم، فأنا خيارٌ من خيارٍ من خيارٍ»^(٣) أو كما قال ﷺ.

(١) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قوله النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (٣٦٦١)، وفي تفسير سورة الأعراف، باب: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ رقم (٤٦٤٠) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم برقم (٢٥٤٠)، وأوله: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي - بالإضافة للضمير - بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه بدون ذكر القسم.

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإشراف على منازل الأشراف» (٣٤٣)، والطبراني في «الأوسط» (٦١٨٢)، وفي «الكبير» (١٣٦٥٠)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٥٨ - ٥٩ رقم ١٨)، والبيهقي في

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلا وَفَضَائِلُ لَكِنَّمَا الصَّادِقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

«شعب الإيمان» (١٤٩٣)، وفي «دلائل النبوة» (١٧١/١ - ١٧٢)، وابن عدي في «الكامل» (٣/٣٣٧ السرساوي)، من طريق حماد بن واقد الصنفار، عن محمد بن ذكوان، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر به في حديث طويل.

وحماد بن واقد ضعيف؛ ضعفه ابن معين. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو زرعة وغيره: لين. وقال الفلاس: كثير الخطأ والوهم، وقال أبو حاتم: ليس بقوي، لين الحديث، يكتب حديثه على الاعتبار، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه مما لا يتابعه عليه الثقات، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقوي عندهم، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد، وقال العقيلي: يخالف في حديثه. انظر: «ميزان الاعتدال» (١/٦٠٠ البجاوي)، و«تهذيب التهذيب» (٣/٢١ دائرة المعارف).

وتابع حماد هذا يزيد بن عوانة، عن محمد بن ذكوان به؛ أخرجه الحاكم (٤/٨٣ و٩٧) وصححه، والبيهقي في «الدلائل» (١٧١/١ - ١٧٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٣٨٨)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٢٩). وقال العقيلي: لا يتابع عليه.

ومحمد بن ذكوان ضعفه الجمهور؛ فقال فيه البخاري والنسائي: «منكر الحديث». وقال ابن عدي: «عامة ما يرويه أفراد وغرائب ومع ضعفه يكتب حديثه». «الكامل» (٩/٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٩)، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٦٢): «يروي عن الثقات المناكير والمعضلات عن المشاهير على قلة روايته حتى سقط الاحتجاج به». ونقل ابن الجنيدي في «سؤالاته» (ص ١٨٩ الفاروق الحديث) عن ابن معين أنه قال فيه: ليس به بأس.

وقد خالفه حماد بن زيد؛ فرواه عن عمرو بن دينار، عن محمد بن علي مرسلاً. أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٢٠)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/٤٩٧ - ٤٩٨ الرسالة)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٢١٦ - ٢١٧)، من طرق عن حماد به بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ الْعَرَبَ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ كِنَانَةَ أَوْ النَّضَرَ بَنَ كِنَانَةَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْهُمْ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». قال البيهقي: «مرسل حسن». ورجح هذا المرسل الدارقطني في «العلل» (١٢/٤٠٣).

وضعف الموصول غير واحد منهم أبو حاتم الرازي كما في «العلل» لابنه (٦/٤٠٢ الحميضي)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/٣٩٧ هجر): «حديث غريب». وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣٣٨) و(٣٠٣٨).

يُشيرُ بهذا إلى المُفاضلة بين الصَّحابة، أي: مع حُبِّهم جميعًا، فالأدلة تدلُّ على تفضيل أبي بكر على غيره من الصَّحابة، ثم تفضيل عمر على سائرهم، ثم تفضيل عثمان، ثم عليّ، ثم السَّبعة الباقيين من العشرة: وهم الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح.

ثم سائر الصَّحابة يتفاضلون بالسَّبق إلى الإسلام؛ فأهل الهجرتين أفضل من غيرهم من المهاجرين، وأصحاب بيعة العقبة أفضل من غيرهم من الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من آمن وهاجر قبل الفتح، ثم من آمن وقاتل بعد الفتح، ثم صغار الصَّحابة، هكذا ترتيبهم في الأفضلية، وفي هذا تبرؤ من الشيعة والنواصب؛ فالشيعة لا يستثنون من تكفير الصَّحابة إلا عليّ بن أبي طالب، وعددًا قليلًا معه لا يتجاوزون الأربعة عشر أو الخمسة عشر، والنواصب يتولَّون الصَّحابة ويُبغضون أهل البيت، وكلتا الفرقتين على ضلالٍ، والحق: أن نتولَّاهم جميعًا، ونحبَّهم، وننزلهم منازلهم التي أنزلهم الله بها.



الاعتقاد في القرآن

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ
وَأَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ

❦ الشرح:

في هذين البيتين أخبر بأنه يعتقد بأن القرآن كلام الله مُنَزَّلٌ غير مخلوق، فنحن نقول كما قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. فوصفه بأنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كان مسموعاً من مخلوق، وفي هذا إبطال لمذهب المعتزلة الذين يقولون: إن القرآن مخلوق، وإبطال لمذهب اللفظية الذين يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق.

وقد قرّر أهل السنة والجماعة أن من قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر^(١)، ومن

(١) انظر: «عقيدة السلف أصحاب الحديث» للصابوني (ص ٨٠ - بشرح الشيخ ربيع المدخلي)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٢٥٩ - ٣٤٤).

وسئل العلامة حافظ الحكمي رَحْمَةُ اللَّهِ: «س ٨٣: مَا حُكْمُ مَنْ قَالَ يَخْلُقِ الْقُرْآنُ؟

فأجاب: القرآن: كلام الله عَزَّوَجَلَّ حقيقة؛ حُرُوفُهُ ومعانيه، ليس كلامُهُ الحُرُوفُ دُونَ المعاني، ولا المعاني دُونَ الحُرُوفِ، تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ وَخِيَا، وَأَمَّنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، فَهُوَ وَإِنْ خُطَّ بِالْبَنَانِ، وَتُلِيَ بِاللِّسَانِ، وَحُفِظَ بِالْجَنَانِ، وَسُمِعَ بِالْأَذَانِ، وَأَبْصُرَتْهُ الْعَيْنَانِ، لَا يُخْرِجُهُ ذَلِكَ عَنْ كَوْنِهِ كَلَامَ الرَّحْمَنِ. فالأَتَامِلُ والمِدَادُ والأَقْلَامُ والأَوْرَاقُ مَخْلُوقَةٌ، والمَكْتُوبُ بِهَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، والأَلْسُنُ والأَصْوَاتُ مَخْلُوقَةٌ، والمَتَلَوُّ بِهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، والصُّدُورُ مَخْلُوقَةٌ، والمَحْفُوظُ فِيهَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ،

قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو مُبتدعٌ جهمي^(١)، والحق كما أوضحناه: أنه

والأسماع مخلوقة، والمسموع غير مخلوق؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٨]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «أُويِّمُوا النَّظَرَ فِي الْمُضْحَفِ» [أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٢٨)] والنصوص في ذلك لا تخصي، ومن قال: القرآن - أو شيء من القرآن - مخلوق؛ فهو كافرٌ كُفراً أكبر، يُخرجه من الإسلام بالكُليَّة؛ لأنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى، منه بدأ وإليه يعود، وكلامه صفته، ومن قال: شيء من صفات الله مخلوق، فهو كافرٌ مرتدٌ، يُعرض عليه الرجوع إلى الإسلام، فإن رجع وألّا قُتل كُفراً، ليس له شيء من أحكام المسلمين. اهـ

وعلق العلامة النجفي رحمه الله على هذا بقوله: «هذه الفقرة طويِّلة، والخلاصة فيها: أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأنَّه غيرُ مخلوق، والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] إلى غير ذلك من الآيات. فمن قال أنَّ القرآنَ مخلوق، فإنه يُعتبر قد كفر، بعد أن يُعرف بما يترتب على ذلك، فإن أصرَّ فإنه يُحكم عليه بالكفر المُخرج من الملة؛ يستتاب ويؤمَّن له، فإن تاب وإلّا يُعتبر كافراً. اهـ. «الفوائد المنشورة على كتاب أعلام السنة المنشورة» ضمن الجزء السادس من هذا المجموع المبارك.

(١) سئل العلامة حافظ الحكمي رحمه الله: «س ٨٦: ما حكم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؟

فأجاب: هذه العبارة لا يجوز إطلاقها نفياً ولا إثباتاً؛ لأنَّ اللَّفْظَ معنى مشترك بين اللَّفْظِ الَّذِي هُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ، وَبَيْنَ الْمَلْفُوظِ بِهِ، الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ، فَإِذَا أُطْلِقَ الْقَوْلُ بِخَلْقِهِ شَمِلَ الْمَعْنَى الثَّانِي، وَرَجَعَ إِلَى قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَإِذَا قِيلَ: غير مخلوق، شَمِلَ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ الَّذِي هُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ، وَهَذَا مِنْ بَدْعِ الْإِتِّحَادِيَّةِ، وَلِهَذَا قَالَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: غير مخلوق، فهو مُبتدعٌ. اهـ

وعلق العلامة النجفي رحمه الله على هذا بقوله: «لماذا وُصِفَ مَنْ قَالَ: لفظي بالقرآن مخلوق؛ بأنَّه جهميٌّ؟ الجواب: لأنَّه إِذَا قَالَ هَذَا شَمِلَ التَّلَفُّظَ، وَشَمِلَ الْقُرْآنَ الْمُتَلَفَّظَ بِهِ، فَيَكُونُ دَاخِلًا فِي الْمَعْنَى، وَإِذَا قَالَ الْعَكْسُ فَهُوَ يَشْمَلُ أَيْضًا مِنَ الْوَجْهِ الثَّانِي.

كَلَامُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وكَلَامُ اللَّهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ.
وأهلُ السُّنَّةِ والجماعة يعتقدون أنَّ اللَّهَ يتكلَّمُ بكَلَامٍ قديمٍ النَّوعِ حادثٍ
الْأَحَادِ؛ يتكلَّمُ متى شاءَ بما شاءَ كيف شاءَ، وأنَّ عَدَمَ الْكَلَامِ نقصٌ في المَخْلُوقِ
فكيفَ لا يكونُ نقصًا في الخالقِ! قَبَّحَ اللَّهُ أَصْحَابَ الْكَلَامِ، وما جاؤُوا به،
وأدخلوه في الإسلامِ مِنَ الْبِدْعِ الْمُضِلَّةِ.
وَمِنْ ذَلِكَ زَعْمُهُمْ أَنَّ مَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ متى شاءَ يلزَمُ
منه المُشَابَهَةُ للمخلوقين، وكذَّبُوا في ذلك.



وَلَكِنْ يُقَالُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِذَا قِيلَ هَذَا - الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ - فَإِنَّهُ يُنْفَى بِهِ
الْاِخْتِمَالُ الَّذِي يَخْصُلُ مِنَ الْإِطْلَاقِ.
وَالْحَقِيقَةُ: أَنَّ التَّلْفُظَ بِالْقُرْآنِ أَوْ غَيْرِهِ مَخْلُوقٌ، فَالْأَلْسِنَةُ الَّتِي تَنْطِقُ بِهِ مَخْلُوقَةٌ، وَالْقُلُوبُ الَّتِي تَعِيهِ
مَخْلُوقَةٌ، وَالْيَدَاذُ الَّتِي يُكْتُبُ بِهِ مَخْلُوقٌ، وَالْوَرَقُ الَّذِي يُكْتُبُ بِهِ مَخْلُوقٌ، وَلَكِنْ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛
فَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.
وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ. وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ. وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ
مَخْلُوقٍ؛ بِدُونِ أَنْ يُثَبِّتَ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ. اهـ. «الفوائد المنشورة على كتاب أعلام السُّنَّةِ المنشورة»
ضمن الجزء السادس من هذا المجموع المبارك.

الاعتقاد في آيات الصفات

قال رحمه الله:

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمْرُهَا
وَأَرَدُ عَنْهَا إِلَهِي نُقَالِهَا
حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ
وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يَتَخَيَّلُ
فَبِحَالِ مَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ وَرَاءَهُ
وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ

الشرح:

أقول: قرّر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات الثلاثة أنه يؤمن بجميع الصفات المذكورة في الكتاب والسنة؛ يؤمن بها ويحملها على ما تقتضيه اللغة العربية من معنى، غير أنه يجعل ذلك على ما يليق بجلال الله؛ فإن أثبت (الوجه) قال: أثبت لله وجهًا يليق بجلاله، وإن أثبت (اليد) قال: أثبت لله يدًا تليق بجلاله، وإن أثبت (العين) قال: أثبت لله عينًا تليق بجلاله، وهكذا يقال في جميع ما ورد من الصفات؛ سواء كانت ذاتية كما سبق، أو فعلية كالاستواء والنزول إلى السماء الدنيا وما أشبه ذلك، على مقتضى ما كان يعتقده ويثبت الطراز الأول؛ من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، أهل القرون الثلاثة الذين أثنى النبي ﷺ عليهم وزكاهم^(١).

(١) وذلك ما رواه البخاري في كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، رقم (٢٦٥٢)، وفي كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم، رقم (٣٦٥١)، وفي كتاب:

وقوله: (وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يَتَخَيَّلُ)، أي: أصونها عن كل ما تتخيله الأذهان من مشابهة المخلوقين.

وفي البيت الثالث: ذم من ترك القرآن والسنة في استدلاله، وذهب يستدل بقول الأخطل^(١) النصراني الكافر، ومن فعل ذلك فهو جدير بأن يذم ويوصف بالقبح والخُبث؛ لأنه ترك الحق وأخذ الباطل، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

والمقصود بالاستدلال بقول الأخطل: ما يستدل به الأشاعرة على تأويل (الاستواء) بـ (الاستيلاء)، ويستدلون بقول الأخطل:

قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مِهْرَاقٍ^(٢)

ويقولون: إن (استوى) هنا بمعنى: (استولى)، وهذا الاستدلال استدلال باطل؛ لأنه إذا قيل في بشر بن مروان: إنه استولى على العراق؛ لكونه لم يكن

الرقاق، باب: ما يُحذَرُ مِنَ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا، رقم (٦٤٢٩)، وفي الأيمان والنذور، باب: إذا قال: أشهدُ بالله، أو شهدتُ بالله، رقم (٦٦٥٨)، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ».

ورواه البخاري في كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، رقم (٢٦٥١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٥) بلفظ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي...». عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٤) بلفظ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثَتْ فِيهِمْ». عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) الأخطل: هو غياث بن غوث التغلبي النصراني، شاعر زمانه. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٥٨٩/٤ الرسالة).

(٢) «ديوان الأخطل» (ص ٥٥٧) دار الفكر المعاصر (١٤١٦هـ).

مُسْتَوِيًّا عَلَيْهَا مِنْ قَبْلُ، وَصَحَّ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَصَحُّ فِي حَقِّ الْخَالِقِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مُسْتَوِيًّا عَلَى عَرْشِهِ قَبْلَهُ، وَهَذَا وَاضِحٌ^(١)، وَلَكِنَّ اللَّهَ

(١) قَالَ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ الشَّنْقِيطِيُّ فِي «آدَابِ الْبَحْثِ وَالْمَنْظَرَةِ» (ص ٣٧٦ - ٣٧٩ عَالَمُ الْفَوَائِدِ): «وَالْبَلِيَّةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الْبَلَايَا الْإِلْزَامُ لِمَذْهَبِ الْخَلْفِ: هِيَ أَنَّهُمْ لَمَّا ادَّعَوْا عَلَى صِفَةِ الْإِسْتِوَاءِ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ لَاقٍ، ثُمَّ نَفَوْهَا مِنْ أَصْلِهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ؛ زَعَمُوا أَنَّ مَعْنَى «أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ»: اسْتَوَى عَلَيْهِ، فَجَاءُوا بِالْإِسْتِوَاءِ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، وَنَفَوْا الْإِسْتِوَاءَ الثَّابِتَ فِي الْقُرْآنِ، وَضَرَبُوا لِذَلِكَ مَثَلًا بِقَوْلِ الرَّاجِزِ:

قَدْ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

فَقَالُوا: (قَدْ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ) مَعْنَاهُ: قَدْ اسْتَوَى عَلَيْهِ، وَإِذَا مَعْنَى: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ»: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ.

وَنَحْنُ نَقُولُ فِي هَذَا: أَيُّهَا الْمُسْتَدَلُّ بَبَيْتِ الرَّجَزِ هَذَا عَلَى أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ مَعْنَاهُ: الْإِسْتِوَاءُ، أَلَمْ تَخْشَ اللَّهَ؟! أَلَمْ تَسْتَحِجَّ مِنَ خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَلَّ وَعَلَا اسْتِحْيَاءَ يَمْنَعُكَ مِنْ أَنْ تُشَبِّهَ اسْتِوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ - الَّذِي زَعَمْتَ - بِاسْتِوَاءِ بِشْرِ عَلَى الْعِرَاقِ؟! وَهَلْ يُعْقَلُ فِي الدُّنْيَا تَشْبِيهُ أَشْنَعُ مِنْ تَشْبِيهِ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ بِاسْتِوَاءِ بَشَرٍ بِنِ مَرَوَانَ عَلَى الْعِرَاقِ؟!

فَاعْلَمْ - أَيُّهَا الْخَلْفِيُّ - أَنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ فِي الْإِسْتِوَاءِ - الَّذِي زَعَمْتَ - وَالْبَيْتَ الَّذِي اسْتَدْلَلْتَ بِهِ: أَنَّكَ بِهِ أَنْتَ أَعْظَمُ الْمُشَبَّهِينَ نَصِيبًا فِي التَّشْبِيهِ لِصِفَاتِ الْخَالِقِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، وَبِأَيِّ دَلِيلٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ أَوْ عَقْلِ سَوَّغْتَ لِنَفْسِكَ أَنْ تُشَبِّهَ اسْتِوَاءَ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ - الَّذِي زَعَمْتَ - بِاسْتِوَاءِ بِشْرِ بِنِ مَرَوَانَ عَلَى الْعِرَاقِ.

ثُمَّ اعْلَمْ - أَيُّهَا الْخَلْفِيُّ - أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِكَ مِنْ غَيْرِ اعْتِمَادٍ عَلَى وَحْيٍ سَمَاوِيِّ أَنَّهُ أَشَدُّ الصِّفَاتِ تَوَعُّلًا فِي التَّشْبِيهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَشْبِيهَهُ تَعَالَى فِي اسْتِوَاءِهِ عَلَى عَرْشِهِ بِكُلِّ مَخْلُوقٍ قَهَرٍ مَخْلُوقًا فَعَلَبَهُ، وَاسْتَوَى عَلَيْهِ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ بُحُورًا لَا سَوَاحِلَ لَهَا.

وَلَا شَكَّ أَنَّكَ سَتَضْطَرُّ - أَيُّهَا الْخَلْفِيُّ - إِلَى أَنْ تَقُولَ: هَذَا الْإِسْتِوَاءُ الَّذِي فَسَّرْتُ بِهِ اسْتِوَاءَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ مُشَابَهَةِ اسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ!

وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ وَنَطْلُبُ مِنْكَ الْجَوَابَ بِالْحَقِّ، الْخَالِي مِنَ التَّعَصُّبَاتِ الَّتِي تُعْمِي الْعُقُلَاءَ وَتُصَمِّمُهُمْ: أَيُّهُمَا أَحَقُّ بِالتَّنْزِيهِ عَنْ مُشَابَهَةِ صِفَاتِ الْخَلْقِ؛ الْإِسْتِوَاءُ الَّذِي أَثْنَى اللَّهُ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَأَنْزَلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينَ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ ﷺ، قُرْآنًا يُتْلَى مُتَعَبَّدًا بِلَفْظِهِ؛ كُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ لِقَارِئِهِ، وَيُقْرَأُ بِهِ

أخبرنا بأنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور^(١).
 فَمَنْ هُوَ الَّذِي كَانَ مُنَازِعًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ ! ومستوليًا على عرشه قبله؟ !
 نعوذُ بالله مِنَ الضَّلَالِ، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]،
 وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلَهِةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا تُبْعَثُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (٤٣) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٢) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ
 وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) [الإسراء: ٤٢ - ٤٤].



في الصلاة، وَمَنْ أَنْكَرَ أَنَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، أم الأحق بالتنزيه عن مشابهة صفات
 المخلوقين هو الاستيلاء الذي جثتم به مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدُلَّ عَلَيْهِ كِتَابٌ وَلَا سَنَّةُ الْبَتَّةِ بِوَجْهِ
 مِنَ الْوُجُوهِ؟

والظاهر: أَنَّكَ سَتَضْطَرُّ إِلَى أَنْ تَقُولَ: إِنَّ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَحَقُّ بِالتَّنْزِيهِ مِنْ كَلَامِ جَاءَ بِهِ نَاسٌ مِنْ تِلْقَاءِ
 أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى دَلِيلٍ مِنْ نَقْلِ وَلَا عَقْلِ، إِلَّا إِذَا كُنْتَ مُكَابِرًا، وَالْمُكَابِرُ لَا دَاعِيَ لِلْكَلامِ مَعَهُ.
 وهذا الذي ذكرنا في الاستواء جارٍ في جميع الصفات الثابتة في الكتاب والسنة؛ كما قَدَّمْنَا أَنَّ إِيضاحَ مثالٍ
 واحدٍ منها كافٍ في إِيضاحِ الجميع؛ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا
 عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ (١٠٤) [الأنعام: ١٠٤]. اهـ

(١) يُشِيرُ رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
 يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦) [الحج: ٤٦].

الاعتقاد في رؤية الله ونزوله

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

﴿الشرح﴾

أي: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، كما ثبت ذلك في أحاديث متعددة؛ منها حديث جرير بن عبد الله في (الصحيحين): «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ»^(١).
والأحاديث الواردة في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة كثيرة مشهورة.

وقوله: (وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ) أي: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِغَيْرِ كَيْفٍ^(٢) فِي الثُّلُثِ الْأَوْسَطِ وَالثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَنْقُضُ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ،

(١) روى البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَبُجُوهٌ يُؤْمِنُونَ فَأَمَّا نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِقَةٌ (٢٣)، رقم الحديث (٧٤٣٤) ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم الحديث (٦٣٣) عن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤُوسِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا».

(٢) والمراد من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا: نفي علم الكيف.

مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ^(١)، وأهل السنة يؤمنون بذلك ويثبتونه لربهم على
الوجه اللائق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ رقم (٧٤٩٤)،
ومسلم في كتاب الصلاة، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، رقم (٧٥٨).
وفي لفظ لمسلم رقم (٧٥٨): «يُنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، فَيَقُولُ:
أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَاسْتَجِبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي
فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَضِيَ الْفَجْرُ».

الإيمان بالميزان والحوض

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَقْرَبُ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي أَرْجُو بَأْنِي مِنْهُ رِيًّا أَنَهْلُ

❦ الشرح:

أي: وأخبر أنه يؤمن بالميزان الذي توزن به الأعمال، وهو ميزان له كِفَتَانِ
ولسان، توضع الحسنات التي للعبد في كفة، وتوضع السيئات في كفة^(١)، فإذا
مالت الحسنات بالسيئات نجى صاحب الأعمال ودخل الجنة بسلام.
أما إن مالت كفة السيئات على كفة الحسنات؛ فإن صاحب هذه الأعمال
ربما يلحقه ما يلحقه من العذاب، ثم بعد ذلك يدخل الجنة؛ إما بشفاعة
الشافعين، وإما برحمة أرحم الراحمين.

(١) وانظر ما رواه الإمام أحمد (٦٩٩٤ قرطبة)، والترمذي وحسنه في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن
يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٢٦٣٩)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:
سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ
وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ:
لَا يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ،
فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَرَنَّاكَ، فَيَقُولُ: يَا
رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: «فَتَوَضَّعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي
كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ». وصححه الألباني في «السلسلة
الصحيحة» رقم (١٣٥).

والحوض: هو حوض النبي ﷺ طوله مسيرة شهر، وعرضه مسيرة شهر، يشرب منه المؤمنون يوم القيامة، فمن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أباريقه عدد النجوم^(١).



(١) كما أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: في الحوض، رقم (٦٥٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم (٢٢٩٢)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً».

الإيمان بالصراط

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكَذَا الصُّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمَ فَمَوْحِدُنَا جِ وَأَخْرُ مُهْمَلُ

﴿الشرح﴾:

الصُّرَاطُ: هو جسرٌ يوضعُ على متن جهنم؛

فَالصُّرَاطُ الْحَسِّيُّ: هو الَّذِي يُمَثِّلُ الصُّرَاطُ الْمَعْنَوِيَّ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا، وَالَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فَالصُّرَاطُ الْمَأْمُورُ بَاتِّبَاعِهِ فِي الدُّنْيَا هُوَ الشَّرْعُ الْمُتِمَثِّلُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَنْ اسْتَقَامَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَسْتَقِيمُ فِي سَيْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِالْمُسَارَعَةِ إِلَى شَرْعِ اللَّهِ تَكُونُ الْمُسَارَعَةُ عَلَى الصُّرَاطِ الْمَمْدُودِ عَلَى نَارِ جَهَنَّمَ.

وقد ورد في الأحاديثِ الصَّحِيحَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ التَّمَاثُلِ - بِلِ التَّفَاوُتِ الْعَظِيمِ - فِي سَيْرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصُّرَاطِ الْحَسِّيِّ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُمَرُّ كَلْمَحِ الْبَصَرِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِدِ الْخَيْلِ، وَكَسَعِيِّ الرِّجَالِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ عَلَى بَطْنِهِ^(١)، وَهَذَا التَّفَاوُتُ هُوَ

(١) الحديث أخرجه أحمد (٢٥/٣) (١١٢١٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٢٧) وابن منده في «الإيمان» (٨٢٨) عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُمَرُّضُ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، عَلَيْهِ حَسَكٌ وَكَكَلَيْبٌ وَخَطَاطِيفٌ تَخْطِفُ النَّاسَ، قَالَ: فَيَمَرُّ النَّاسُ مِثْلَ الْبَرْقِ، وَآخَرُونَ مِثْلَ الرِّيحِ،

بحسب تفاوت سيرهم على شرع الله وشرعتهم إليه.
نَمَّ قَالَ: (فَمَوْحِدٌ نَاجٍ وَآخِرٌ مُهْمَلٌ) أي: الذي كان سيره المعنوي على
الصُّراطِ مُستقيماً في الدُّنيا فهو ينجو، وَمَنْ كان سيره مُتأرجحاً فهو يسقط،
والعياذُ بالله.



وآخِرُونَ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمُجَرَّى، وَآخِرُونَ يَسْعَوْنَ سَعْيًا، وَآخِرُونَ يَمْشُونَ مَشْيًا، وَآخِرُونَ يَحْبُونَ حَبْوًا،
وآخِرُونَ يَزْحَفُونَ زَحْفًا...». الحديث.

وأخرجه بغير هذا السياق البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) وغيرهما.

الإيمان بالجنة والنار

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى الْجَنَّةِ سَيَدْخُلُ

﴿الشرح﴾:

أي: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعَدَّ لِلْجَنَّةِ مِلْأَهَا، وَأَعَدَّ لِلنَّارِ مِلْأَهَا^(١)، وما ذلك إِلَّا بأعمالهم، وما قد كَتَبَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ.
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ النَّاجِينَ، وَاكْتُبْنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِرَحْمَتِكَ، الَّذِينَ يَغْنَمُونَ السَّلَامَةَ مِنَ عَذَابِ الْهَوَانِ الَّذِي يَكُونُ لِأَصْحَابِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَالْعِيَاضُ بِاللَّهِ.



(١) يُشِيرُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (٣٠)، برقم (٤٨٥٠)، وَفِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨)، برقم (٧٤٤٩)، وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْجَنَّةِ، بَابُ: (النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ، وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ)، برقم (٢٨٤٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوزِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُنْتَجِبِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أَعْدَبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْأُهَا». الْحَدِيثُ.

الإيمان بسؤال القبر ونعيمه وعذابه

ثُمَّ قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

﴿الشرح:﴾

هذا البيت فيه أنه يصوّر للإنسان عمله في صورة رجل؛ عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» قَالَ: «فَيَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى

يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

قَالَ: «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَّقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيْبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَحْيَى بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي».

قَالَ: «وَلِإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّةَ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَحْيَى عَمَلُكَ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى

يُسْتَفْتَحُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ» [الأعراف: ٤٠].

«فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَبْعِينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا». ثُمَّ قَرَأَ: «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِينٍ» [الحج: ٣١].

«فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَحْيِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»^(١).

فشيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ يُشِيرُ إِلَى هَذَا.

(١) رواه أحمد (١٨٥٥٧) واللفظ له، وأبو داود في كتاب السنَّة، باب: في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣). وروى طرفة السَّائِي في كتاب الجنائز، باب: الوقوف على الجنائز، رقم (٢٠٠١)، وابن ماجه في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في الجلوس في المقابر (١٥٤٨) (١٥٤٩) وصحَّحه ابن خزيمة في «التَّوْحِيد» (١١٩)، وابن جرير في «تهذيب الآثار مُسْنَدُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (١٤٩١/٢)، والحاكم (٣٧/١)، والبيهقي في «إنبات عذاب القبر» (٣٩) وابن القيم في «الروح» (٨٨) و«إعلام الموقعين» (١٧٨/١) و«تهذيب السنن» (١٣٩/٧) وقَوَاهُ شيخ الإسلام ونقل عن جماعة تصحيحه في «شرح حديث النزول» (٢٦٢ - ٢٨٠) وقال الألباني في تحقيقه على «الآيات البيِّنات» (ص ٨٤ المكتب الإسلامي): «صحيح، من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الطَّوِيل -». وصحَّحه أيضًا في «أحكام الجنائز» (ص ١٥٩).

اعتقاد الأئمة الأربعة

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ
فَإِنْ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمَوْفَّقٌ وَإِنْ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلٌ

❦ الشرح:

أي: هذا ما سبرته هنا هو اعتقاد الأئمة الأربعة وهم: الشافعي^(١)، ومالك^(٢)، وأبو حنيفة^(٣)، وأحمد^(٤)، فَإِنْ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَأَنْتَ مَوْفَّقٌ، وَإِنْ ابْتَدَعْتَ وَخَرَجْتَ عَنْ طَرِيقِهِمْ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلٌ، ونسأل الله أن يهديك إلى الحق وإصابته. وبالله التوفيق.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

(١) هو الإمام الفقيه ناصر السُّنَّة ومجدد الملة أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي المطلبي الشافعي، وُلِدَ سنة (١٥٠ هـ)، وتوفي سنة (٢٠٤ هـ). انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/٥ - ٩٩).

(٢) هو إمام دار الهجرة وعالم المدينة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الحميري الأصبحي المدني، ولد - على الأصح - سنة (٩٣ هـ)، وتوفي سنة (١٧٩ هـ). انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٨/٤٨ - ١٣٥).

(٣) هو الإمام فقيه الملة عالم العراق، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، ولد سنة (٨٠ هـ)، توفي سنة (١٥٠ هـ). انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٦/٣٩٠ - ٤٠٣).

(٤) هو الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي البغدادي أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة (١٦٤ هـ)، وتوفي سنة (٢٤١ هـ). انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١١/١٧٧ - ٣٥٨).

فهذا ما أملاه شيخنا الإمام العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيَّ،
وقرأته عليه شرحاً على لامية شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ، وذلك في مسجده
بقرية النجامية يوم الأربعاء الرابع من شهر صفر (١٤٢٨) هجرية، وكان الانتهاء
من إملائه يوم الخميس الخامس من شهر صفر (١٤٢٨) هجرية.
وتمت قراءته على الشيخ عبيد الجابري حفظه الله وأقرّ به عصر يوم الأربعاء
(٥/ جمادى الأول ١٤٣٣ هـ).

وكتبه

حامداً لربه ومُصلِّياً على نبيه الفقير إلى ذي الكرم والفضل

أبو حذيفة عبد الرحمن بن الفضل اليافعي

شمّله الله ووالديه ومشايخه والمسلمين بعضوه وإحسانه

هاتف/ ٠٥٦٠٠٠٧٩٧٥/٠٥٤١١٨٨٩٠٩

البريد الإلكتروني: Yafie1979@gmail.com

